المرأة في كتابة جورج خضر

تقديم وتجميع امل ديبو

يأتي جورج خضر الكاتب، من قبل اسقفية انسكبت عليه مسؤولية ودعوة نهضة روحية، يأتي من ايمانه بالكائن الحي الابدي الوحيد، من وجه يسوع الناصري. ولعله كاتب لأنه التزم « الكلمة التي صار جسدا وحلّ بيننا » (يوحنا ١/٤).

وهو كاتب بالعربية التزمها لغة، ذوقاً، حساً، هوية، في البشرة تحتضن رؤى انجيلية، فكانت معراجه الى قلب السر الالهي سار في قلب الله سيراً ارثوذوكسياً مشرقياً وتغلل في مقاصده حاملاً وجع الانسان ومحدوديته متخطياً اياها بموهبة الكاتب الفنان، سارق الشعلة الالهية، يقتبس من نورها سنى يقرأ على ضوئه اسرار الوجود ؛ يهمنا منها هنا المرأة.

الكتابة رؤية فلسفية ان هي ابداع، والاّ فهي وصف لعبودية الواقع وردود فعل واستقراء خجول لما قد يتخطى الواقع وتمتمات مترددة تدب دبيباً على الارض ولا تمتشق الانسان الى فوق. ولعل ما سمي بأدب الانحطاط حصل من جرّاء فصل الكتابة عن الرؤية الفلسفية، فأفرغ الادب من الفكر الانساني الكبير وحصره بزخرفات جمالية تطفو على سطح الوجود كما تطفو حبيبات الهواء على صفحة الماء. وكأن ما يروي العطش في كتابة مبدعة خلاّقة هو ما يستطيع الكاتب ان يختطفه من معرفة لسرّ الكون وجماله ؛ الكتابة ضرب من ضروب الكشف والا فهي لهو او لغو.

مساهمة المطران جورج خضر في هذا العدد شهادة عربية يعيش بوحي منها او بها نصف مسيحيي الشرق او اكثر، ويستأنس بها

مسلمون محاورون كما يصغي اليها اهل الفكر في الغرب. لذا كان لا بد من اقتطاف بضعة مقاطع من كتاباته الكثيرة في المرأة لما فيها من بحث جدّي وابداع فكري ومواقف جريئة لم تحملها اللغة العربية ولا سيما الفكر الديني في الشرق العربي.

ان الجديد الذي تركّز عليه فكر جورج خضر هو اعلانه : « ان لنا ان نتروض على رؤية المرأة مستقلة، الامر الذي لا يعطله دور اندراجها في الزوجية والامومة... وبأن المرأة ذات قدرة عقلية كاملة وبالتالي هيأتها الطبيعة لكل جهد ثقافي ولكل انتاج علمي. »[1] ... وفي سعي الكاتب هاجس تحرير المرأة من الوظيفة التي تخضعها للآخر (للعطفية) المتمثلة بواو العطف، وتحررها بالتالي من لعبة الجنس والمال والسلطة، وبذلك تحرّر من عبودية الذات والتاريخ.

كتابة في المرأة ذاتها

« مرّت خمسة الاف سنة على المنحوتات النسوية ونحن لا نزال رافضين رؤية المرأة في ذاتها ونصر على اعتبارها مذيّلة للرجل، ويقول فيها القول الذي يشاؤه له الهوى وسبب ذلك، كما لاحظ هذا القديس غريغوريوس اللاهوتي، انه هو الذي يصدر الشرائع. ما نحاول ان نقوله انه حان لنا بعد اطلاعنا على الانتروبولوجيا والسيكولوجيا والحضارات ان نرى المرأة في ذاتها فهي لم تبق تلك الأنثى المنجاب وحسب ولا الغاوية. في الرؤية العلمية هي امرأة لا انثى، كما ان الذكر زال ليبدو الرجل. وبهذا لا نبطل الجنس ولكننا نرقى فوقه الى الانسانية. وفي الاشتقاق العربي الانسان من أنس، يأنس ؛ فمن بعد نشوء الإلفة بين البشر ابتلعت انسانية الانسان الذكورة والانوثة المتآلفتين في كل فرد بشري بمقادير.

لقد صار الجنس مكانا للّقاء البشري، كل منهما يصب في الآخر ويغذّيه حسب درجة كل واحد منا في التوحد. ومن هنا رفضنا لما يسمّى الحاجة الجنسية اذا اريد بها ذلك الجذب الذي لا يدفع عنا او الجذب المستقل عن كل اعتبار يتخطاه. وقد دلّت البشرية في إقبالها على الزواج في زمان غارق في القدم ولعله زمن البدايات، انها ادركت تجاوز الجنس بما يعلوه او يحيط به ولئن قوّته تقوية رهيبة بالانحصار فيه بكل اساليب الإغراء. مع ذلك يبدو لي ان

سان في ما خلا الاغتصاب يقيم دائماً علاقة انسانية. هناك
ا تمتمة عاطفية وتأثّر للقلب. ولهذا لا اساس كيانياً او فلسفياً
لة كتابة « مداخل الجنس ».
ا لست بناكر حق الانسان في المتعة ولكنني ناكر في الواقع
يكولوجي حكر المتعة وعزلها عن جانب اللقاء البشري الوجداني.
ست بقائل هذا باسم الله ولا باسم الخبرة الانسانية البالغة
عقيد. ومن هذا المنظار لا معنى لسلوك الرجل على ان المرأة له
و لها. من هنا ايضا انه آن لنا ان نتروض على رؤية المرأة
تقلة، الامر الذي لا يعطله دور اندراجها في الزوجية والامومة.
ن ان واقعية الرجل وإفادته من رعاية زوجه لبيته والاستقرار
سي والاقتصادي له، هي التي حملته ان يغالي في الحديث عن
أة حبيبة وقرينة واماً للبنين. بسبب من هذا يأتي الغزل
نعبّد للأم وعبادة الانوثة التي تؤمن اللذة وبسط السيادة بآن
سل الذكر على الانثى في المعاش.
ن هنا ان الحركات النسائية، في منطلقها، لا تفي عندي حق
أة كاملاً لأنها حركات مطلبية تلعب اللعبة العصرية في ثنائية
أة والرجل. هذا ليس تحرراً. هذا تمرد. والتمرد قبول جزء من
قع قليله او كثيره. المساواة هي الحديث السلوك في المجتمع
اصر في سطحيته على حق الانتخاب وحق الوصول الى
ظائف وما الى ذلك. انا لست ضد هذا، ولكن هذا لا يكفي
فيا، اذ ليس ما يدل اذا ما منحت المرأة وظائف، وقبلتها انت
البحث العلمي انك تكون قد آمنت بها كائناً مستقلاً كاملاً في
ن نفسك. فوجودها الى جانبك في العمل لا يرسخ في ذهنيتك
ا ليست دمية او حاملة الجمال بامتياز، ليس صحيحا ان
سان يذهب بالضرورة من الخارج الى الداخل، من سطحية
ماعيات جديدة الى رؤية جديدة. »[٢]
انه لا يكفي ان ننكب على شرعة حقوق الانسان لنمحو
فريق بين الذكر والانثى في الكرامة وعمق الكيان. فإن وحدة
ياة تفرض الاّ نقع في الجمع المصنوع بين النمطية القديمة
نمطية الحديثة أكان هذا في اليابان ام في العالم العربي. فقد
مديرة مصرف او محامية او طبيبة يعاملها زوجها، متعلماً
او امياً، بمسلكية الرجل الشرقيّ المتحجّر المعتدّ بذكوريته،

فتعيش معه صداماً رهيباً ليس هو وحده مسؤولاً عنه ؛ ونحن في توتّر دائم بين تصوّر للانسان الراقي وسلوك بدائي صراعي.

كان من الطبيعي ان تؤكد المرأة نفسها في تحصيل العلم منذ القرن التاسع عشر في لبنان ومصر ثم في بقية العالم العربي وان تأخذ دورها في الجمعيات اولاً ثم في الحياة السياسية، ولهذا انشأت الحركات المطلبية. كان من المفهوم ان تثبيت كيانها كان بحملها الرجل على ذلك. في مرحلة اولى كان هذا مقاومة لاحتكار الرجال. موقف جبر لا موقف تلاق. فأمست اليوم مديرة العمل وشركات ورئيسة ادارة الى كونها باحثة في كل ميدان. انتقلت الى خارج المنزل واضحت في بعض البلدان معبرة بصورة رائعة عن حياة وطنية كلية. خروجها من رق المنزل يهيئها مبدئياً للمواجهة الانسانية ان استطاعت ان تهذب نفسها فتراقب انفعالاتها ولا تقع في تفاهات البرجوازية الجديدة حيث تتبنى هي كونها دمية. دخولها الى عالم الشخص المتبني مصيره الحر، يجعلها تعي الزوجية ليس بما فيها من اذعان ولكن بما فيها من حضور معطاء يرفض تواكل المرأة. هذا يتضمن امومة تعيها وتختارها، تنمو هي روحيا لامكانها ليس فقط حضانة ولكن محاورة مع الطفل والاولاد اذا نشأوا وبلغوا.

الى هذا اخذت المرأة تعي نفسها كياناً غير مذيّل. وفهمت انها لن تكون كائن الحوار الا اذا انتصبت في اقنوميتها. والانسان قبل كل شيء كائن المحبة. لهذا يتواصل ولكنه لا يفعل ذلك الا اذا فهم، ولا يفهم كثيراً بلا ثقافة. والثقافة تتعدى امتهان مهنة. انها الفرح العقلي ورهافة القلب معاً. وقد تضطر الاّ تلازم المهنة طوال حياتها او يشغلها عملها بصورة متقطعة بسبب من التزام الولد. وفي ظنيّ ان الانسانية الراقية سوف تصل – بعد الانتفاضات النسائية المطلبية – الى توازن في الزمن بين الحياة العائلية والنشاط المهني. ومهما يكن من امر فالمرأة شاغلها قلبها كل حين وهذه هي قربانيتها الدائمة، وعند يقينها ذلك لا تبقى متبرّجة تبرّج الجاهلية الاولى لئلا يتدنى بذلك مستوى حوارها مع الرجل، لئلا تبطل لغة الخطاب الانساني بصرخة الجسد، فالجسد نرفعه ولا نلغيه، بالمواصلة والوصال. »[٣]

« قبل ان تهبط هذه الرؤية في الاجيال الآتية يجدر بنا ان نقرر

المرأة ذات قدرة عقلية كاملة وبالتالي هيأتها الطبيعة لكل جهد
افي وكل انتاج علمي. لقد شاهدت السنة الماضية في باريس
رضاً للرسامات الانطباعيات غاية في الجمال. اجل ليست سيزان
انه وبيسارو. طبعا ليس بين النساء بتوفن وموتسارت وباخ
ندل او في الشعر كالمتنبّي وراسين وشكسبير وغوتيه
وشكين. اعرف ان ثمة تعليلات لذلك اقبل بعضها وارفض بعضا
ر. ولكن لا شيء يقنعني ان المرأة هي قائمة في رحمها، على
ظيمي لرحم سكن فيه إله.
هناك قدرتان لا يعلو فيهما الرجل المرأة ولا هي تعلوه وهما
ب والايمان. ما عدا ذلك حضارة ومحدوديات حضارة. وان كان
سعي روحي ونضالي، فأن نحرر المرأة من استعباد المنزل
لاولاد لها. هذا لا ينبغي ان يستهلك كل طاقاتها وإن استغرق
ها وقتا غير يسير. المسألة تكمن في العمق البشري. هل نحن
تنعون انها على كل العمق وكل الذكاء وكل العطاء، مندرجة في
روجية او غير مندرجة، وانها ليست في وصاية اخيها في
وبيتها، وليس هو في تهتكه ساهراً على عفتها، وانها ليست في
اية الزوج ولكنهما في رعاية متبادلة لكونهما في مشاركة
لة ؟
لتنوع في الوظائف من حيث ان الرجل يزرع وهي تحمل وتلد
س على هذه الكيانية التي تجعلهما مختلفين في الاساس.
نسان على جذوره البيولوجية لا يستنفذ في بيولوجيته واذا
ت ان افتش عن الكمال فإني اجده عضوياً وتاريخياً في المرأة.
ها استطاعت ان تحافظ على وحدانية كيانها النفسي –
يولوجي – العقلي، في تكامل بديع، بعد ان تقسم الرجل وتبعثر
سبب من تضخم عقلاني ظنّه تفوقاً بعد انقسام بين عاطفته
سده على الشهوانية. مهما يكن من امر تحليلي هذا في تأكيد
ل النساء على الرجال، في الحصيلة التاريخية، يبقى ان ليس
يدلّ – خارج المال الذي يحصله الرجل وخارج قوته العضلية –
ى تفوقه وان كل جنس من الجنسين يعاد اخيراً الى استقلاله
كياني العميق الذي يمكننا وحده من رؤية المرأة في ذاتيتها حرة
ستة آلاف سنة من الرق والفلسفات الذكورية التي كرسّت هذا
ق. »[٤]

كتابة في علاقة الرجل بالمرأة

« ابتدأت اللعبة بالجنس او بالمال لست اعلم. كانت هناك منفعة ما في بعض المجتمعات البدائية حيث المرأة كانت تسود وكان الرجل اخذ يتعاطى الصيد. ولعله احس بأن عضلاته تأتي الى البيت بالطريدة. انه هو يطعم المرأة ويبني لها المنزل وهي تغني وتغوي فقوي المال على الغواية. ودخل هذا الى اللغة، وقيل ان الرجل يأخذ المرأة. انها هي ايضاً طريدة. وقيل انه يفترسها وهذا من باب تعاطي الوحوش الكبيرة والوحوش الصغيرة. فالرجل اذن سيد في تطويع المرأة ويلجها شاءت ام لم تشأ ثم تصالحا على ان تشاء ودخل الفن الى هذه العلاقة من باب الجنس.

ولطف الفن ولم يتغير جوهرياً الا في الفن الديني مع المسيحية. الا ان التحول الحضاري الكبير كان في طرح السؤال : من يأخذ من ؟ فاخترعت المرأة الازياء لتسود الرجل وقَبلَ ان يساهم في ابداعها حتى سيطر عليها ليتوهم كل منهما أنه يسود الاخر. واحتدم اللعب احتداماً كبيراً بعدما خلع المجتمع المرأة عن السيادة السياسية التي كانت تتمتع بها في البدء. وفي اختزال كلي، الرجل مصدر الرزق والمرأة مصدر الجنس واصطلحا على ذلك، واخذ المال يشتري الجنس والجنس يشتري المال وارسيت قواعد اللعبة، وعلى مستواها تبدو ناجحة.

هذه المعادلة : انفاق مقابل جنس معادلة تاريخية يمكن ان تنقلب او تتحول. فلو انفقت المرأة على الرجل واستعادت السيطرة التي كانت عليها في عصر البدايات لا بد من ان يتغير الكثير في طبائع الرجل او مسلكياته. لست اعلم الكيف ولكن ثمة قبائل يتبرّج فيها الرجل كثيراً والرجال في قبائل الطوارق في الصحراء الكبرى هم الذين يحجبون وجوهم. وقد يتخنّث بعض الذكور ويكتسبون جمالاً شبه انثوي. ولذلك لا بد من كسر طوق الجنس وطوق المال معا وهما متداخلان ومنهما تأتي السلطة. هذه الرذائل الثلاث هي الجحيم ولا حرية من الجحيم الا بالخروج منها بالقيامة. فاذا ما « تحررت » المرأة بالعمل وساوت الرجل فيه لن تطلق الرجل من جنسيته المخوف وتعود الدورة الجهنمية : الجنس – المال – السلطة، تلتهم الرجل والمرأة بطريقة او بأخرى. المرأة

والرجل معا من حيث انها به وله او من حيث انه بها ولها. تلك هي العقدة وتلك هي الجحيم.

مع ذلك اؤكد انهما معاً والمعيّة تعني حركة مؤسسة بالطبيعة ولكنها مبنيّة بالنعمة. المعية تداخل ولكنها ليست فناء الواحد بالآخر. هي ليست الاثنينية المرضية القائمة بثلاثية الجسد والمال والسلطة، تلك القائمة بائتلاف الرذائل ومنطق وحدتها. نحن اذن لسنا مع واو العطف ولكننا مع حرف الجر الى. المعية تعني هنا الآخرية بحيث نعترف بأن للمرأة وجهاً وللرجل وجهاً وبأن كليهما يجيء من الله اقنوماً اول، والرجل والمرأة هما الاقنومان الآخران. نحن على الارض مع هذا الثالوث الذي يكسر وحده عزلة الرجل في حدود نفسه وعزلة المرأة في حدود نفسها ويكسر الاثنينية المتراكمة والمتواجهة والتي تتآكل حتى الافتراس المتبادل في حقول اللذة والاقتناء والسؤدد، تلك التي جاءت شرائع الناس تنظمها هرباً من شراسة لا تحد. »[٥]

« الا يكمن الفرق اذا في ان الواحد يعمل فيكسب فيأمر ؟ فاذا عملت المرأة فكسبت افلا تستقل سيكولوجيا، فتقرر امورها ؟ وهل يأتي الحديث الصدامي هكذا : يا امرأة لا اريد ان تعملي فكأنه القائل : الامر لي ولا مانع ان اتعب في سبيل المحافظة على السلطة. ولسان حالها هي : انا اعمل لاني اريد ان اشعر باستقلالي وهذا مكمّل لشخصيتي. انا لا يستغرقني المنزل ولا يستهلكني اولادي. ايكون بالضرورة انصراف كل منهما الى العمل سبباً للغربة ؟ الا يمكن ان تكسب المرأة معاشها ويكون هذا وجهاً من وجوه تثبيت نفسها وان تحيا لينة، سلسة في مطواعية تحسّها هي ويحسّها هو عنصراً من عناصر الانوثة، فلا يصبح الربح سبباً للاستكبار وانقطاع التعاون. هل الحضارة الحالية تقودنا الى تماثل في القوى يسقط فيه الانسجام ام نحن في مرحلة انتقالية تستقيم فيها الامور فيما بعد ؟ هل تعود المرأة الى انضمامية لا دونية فيها ولا ذل وكأن الحميمية تفرضها ؟ هذا عندي مستحيل بلا نعمة تأتي من فوق تجعلنا وحدها نتخطى الجبه والانصياع معاً.

مبدئياً صاحبة الجنس الآخر كما تعنون de Beauvoir كتابها لا تختلف عن الذكر الا بجسدها. لسنا نعرف بالضبط انعكاس هذا الاختلاف البيولوجي في التركيب النفسي ذلك لان الكثير في

خية النفسية نتيجة حضارة. لا يبدو لنا ان في المرأة سراً كما
ل Goethe وكثير من الشعراء من قبله ومن بعده. لعل هذا القول
ده الى كون المرأة من صنع الشعراء و «الشعراء يتبعهم
اوون» والشاعر مطلق تجربته ومطلق ضعفه وهو الذي تغزل
رأة ولم تتغزل به. هي اكتفت بان تحيا حياتها في الشقاء
فرح وتعطيها تصرفا وعطفا وايلاداً.
في تقديري ان المرأة عند الرجل سر بعد ان بات هو جزئياً
جعثراً في داخله ووضعه الخارجي. انه هو الذي قرر ان يصير
صا للحيوان، ان يعمر المدن ويتعاطى الشأن العام. انه هو الذي
كم او يظن نفسه كذلك. واراد ان يصير كائناً دماغياً واولى
اغه إمامة فيه. كل التراث العالمي عمله. ان الرجل وضع في
علوم الانسانية والعلوم الطبيعية كمية من الكتب مذهلة. هذه
ارسة فصلت قلبه عن رأيه، عن جسده. هذه التجزئة تتعرض لها
أة التي دخلت في عالم البحث ونطاق الادارة والمال. ازاء هذا
ل متصوفو الكنيسة الشرقية : لا يصبح الفكر كبيراً الا اذا نزل
القلب وحيا فيه وبعد هذا يصعد ما في القلب الى العقل. لقد
ت الرجل من بعد عصر النهضة ثلاثي التركيب : دماغاً متضخماً
اطفة مجروحة معتزلة وجسداً مرمياً في العالم.
هذا الوضع لم تصل اليه المرأة قبل اليوم في الشرق ويتعذر
يها الانتقال اليه قبل جيلين او ثلاثة ولكني اتوقعه اذا اصرّت ان
ابه الرجل في كل شيء معتبرة ان في هذا، التفوق. فقد تمكنت
ى حد كبير ان توحّد بين جسمها وعقلها وقلبها فاذا اتخذنا
كيانية الموحدة معياراً ساغ الكلام عن فضل النساء على الرجال،
ع ذلك غُلبت النساء في اقصى الارض وفي ادناها اذا كان المرئي
و المعيار. غلبتها السلطة فسادها الرجل. ويلاحظ بدء سفر
تكوين ان هذا عقاب للخطيئة. سوّد الرجل نفسه واراد المرأة امة
ه ورضخت لهذا. ارتضت عبوديتها واستلذّتها. غير ان العبد
تقم فتأتي دورة الحياة جدلية بين العبد والسيد، فكان الاغراء
هو الى حد بعيد اختراع حضاري، ليس شيئاً قائماً في الطبيعة
ولى. قرأت غزل الرجل واستلمت منه ازياء اصطنعها لها ازياء
رافق الشعر لانها تتركز في كل حقبة من الادب على الموطن الذي
ستحسنه الشعراء من بدن المرأة. من هذا القبيل كان الرجل

والرجل معا من حيث انها به وله او من حيث انه بها ولها. تلك هي العقدة وتلك هي الجحيم.

مع ذلك اؤكد انهما معاً والمعيّة تعني حركة مؤسسة بالطبيعة ولكنها مبنيّة بالنعمة. المعية تداخل ولكنها ليست فناء الواحد بالآخر. هي ليست الاثنينية المرضية القائمة بثلاثية الجسد والمال والسلطة، تلك القائمة بائتلاف الرذائل ومنطق وحدتها. نحن اذن لسنا مع واو العطف ولكننا مع حرف الجر الى. المعية تعني هنا الآخرية بحيث نعترف بأن للمرأة وجهاً وللرجل وجهاً وبأن كليهما يجيء من الله اقنوماً اول، والرجل والمرأة هما الاقنومان الآخران. نحن على الارض مع هذا الثالوث الذي يكسر وحده عزلة الرجل في حدود نفسه وعزلة المرأة في حدود نفسها ويكسر الاثنينية المتراكمة والمتواجهة والتي تتآكل حتى الافتراس المتبادل في حقول اللذة والاقتناء والسؤدد، تلك التي جاءت شرائع الناس تنظمها هرباً من شراسة لا تحد. »[٥]

« الا يكمن الفرق اذا في ان الواحد يعمل فيكسب فيأمر ؟ فاذا عملت المرأة فكسبت افلا تستقل سيكولوجيا، فتقرر امورها ؟ وهل يأتي الحديث الصدامي هكذا : يا امرأة لا اريد ان تعملي فكأنه القائل : الامر لي ولا مانع ان اتعب في سبيل المحافظة على السلطة. ولسان حالها هي : انا اعمل لاني اريد ان اشعر باستقلالي وهذا مكمّل لشخصيتي. انا لا يستغرقني المنزل ولا يستهلكني اولادي. ايكون بالضرورة انصراف كل منهما الى العمل سبباً للغربة ؟ الا يمكن ان تكسب المرأة معاشها ويكون هذا وجهاً من وجوه تثبيت نفسها وان تحيا لينة، سلسة في مطواعية تحسّها هي ويحسّها هو عنصراً من عناصر الانوثة، فلا يصبح الربح سبباً للاستكبار وانقطاع التعاون. هل الحضارة الحالية تقودنا الى تماثل في القوى يسقط فيه الانسجام ام نحن في مرحلة انتقالية تستقيم فيها الامور فيما بعد ؟ هل تعود المرأة الى انضمامية لا دونية فيها ولا ذل وكأن الحميمية تفرضها ؟ هذا عندي مستحيل بلا نعمة تأتي من فوق تجعلنا وحدها نتخطى الجبه والانصياع معاً.

مبدئياً صاحبة الجنس الآخر كما تعنون de Beauvoir كتابها لا تختلف عن الذكر الا بجسدها. لسنا نعرف بالضبط انعكاس هذا الاختلاف البيولوجي في التركيب النفسي ذلك لان الكثير في

البنية النفسية نتيجة حضارة. لا يبدو لنا ان في المرأة سراً كما يقول Goethe وكثير من الشعراء من قبله ومن بعده. لعل هذا القول مرده الى كون المرأة من صنع الشعراء و «الشعراء يتبعهم الغاوون» والشاعر مطلق تجربته ومطلق ضعفه وهو الذي تغزل بالمرأة ولم تتغزل به. هي اكتفت بان تحيا حياتها في الشقاء والفرح وتعطيها تصرفا وعطفا وايلاداً.

وفي تقديري ان المرأة عند الرجل سر بعد ان بات هو جزئياً ومبعثراً في داخله ووضعه الخارجي. انه هو الذي قرر ان يصير قانصا للحيوان، ان يعمر المدن ويتعاطى الشأن العام. انه هو الذي يحكم او يظن نفسه كذلك. واراد ان يصير كائناً دماغياً واولى دماغه إمامة فيه. كل التراث العالمي عمله. ان الرجل وضع في العلوم الانسانية والعلوم الطبيعية كمية من الكتب مذهلة. هذه الممارسة فصلت قلبه عن رأيه، عن جسده. هذه التجزئة تتعرض لها المرأة التي دخلت في عالم البحث ونطاق الادارة والمال. ازاء هذا يقول متصوفو الكنيسة الشرقية : لا يصبح الفكر كبيراً الا اذا نزل الى القلب وحيا فيه وبعد هذا يصعد ما في القلب الى العقل. لقد بات الرجل من بعد عصر النهضة ثلاثي التركيب : دماغاً متضخماً وعاطفة مجروحة معتزلة وجسداً مرمياً في العالم.

هذا الوضع لم تصل اليه المرأة قبل اليوم في الشرق ويتعذر عليها الانتقال اليه قبل جيلين او ثلاثة ولكني اتوقعه اذا اصرّت ان تشابه الرجل في كل شيء معتبرة ان في هذا، التفوق. فقد تمكنت الى حد كبير ان توحّد بين جسمها وعقلها وقلبها فاذا اتخذنا الكيانية الموحدة معياراً ساغ الكلام عن فضل النساء على الرجال، مع ذلك غُلبت النساء في اقصى الارض وفي ادناها اذا كان المرئي هو المعيار. غلبتها السلطة فسادها الرجل. ويلاحظ بدء سفر التكوين ان هذا عقاب للخطيئة. سوّد الرجل نفسه واراد المرأة امة له ورضخت لهذا. ارتضت عبوديتها واستلذّتها. غير ان العبد ينتقم فتأتي دورة الحياة جدلية بين العبد والسيد، فكان الاغراء وهو الى حد بعيد اختراع حضاري، ليس شيئاً قائماً في الطبيعة الاولى. قرأت غزل الرجل واستلمت منه ازياء اصطنعها لها ازياء ترافق الشعر لانها تتركز في كل حقبة من الادب على الموطن الذي يستحسنه السراء من بدن المرأة. من هذا القبيل كان الرجل

المخترع الحقيقي للاغراء الانثوي لانه هو مصمم الازياء. المرأة في جاهزيتها قبلت هذا الذل ولم تخرج من جدلية السيد والعبد. لذلك كان طرحي ان ليس من فرق في الكيان بين طبيعة الرجل وطبيعة المرأة. الطبيعة في سقوطها، في تاريخها هي العبودية. »[٦]

«كل تفلسف حول تكامل الجنسين ابتغاء تكريس ابدي لخصائص كل منهما قائم فقط على تجربيّة او براغماتية تنم عن خبرة كل منا للمرأة. انه من العسير جداً ان ينعتق المرء من ذاكرة، المرأة فيها عظيمة الحضور. الفرد ينطلق من تجارب له حميمية ابتداء من حياته مع امه وانتهاء الى كل إخفاقات الحياة الزوجية. كل رجل مرتهن لصورة المرأة الاّ من طهّره الله تطهيراً كبيراً وأقامه فوق الهوامات، حراً من ماضيه وآلامه الحاضرة وتخوفات الآتي ، حراً من كل ذكورية النصوص كائناً ما كان مصدرها.

ان اللجوء الى مقولة التكامل بين الجنسين هو طريقة مهذبة لنتكلم عن دونية المرأة. الدونية تعاش في ارقى الطبقات الميسورة. ان الإسراف في تكريم المرأة في هذه الشرائح لمن دعائم هذه الدونية. ولذلك يجب ابطال فكرة التكامل للحديث عن طرفين متكافئين في ما هو اساسي وخلاّق في هذا الثنائي. انا ساع الى لاهوت المرأة. انه هو الذي يستقرئني الانتروبولوجيا ويضيئها. هي، مستقلة عن جسدها وتاريخها، مسيح الرب وموهوبة ان تكون على طريقه مخلصة العالم . »[٧]

كتابة في المرأة... عن الكتاب المقدس

« قالت احدى روايتي الخلق في سفر التكوين ان المرأة من الرجل لتقول بما هو اكثر حركية انها الى الرجل. لكن الرجل في منشأ الاشياء هو من المرأة لنفهم انه اليها اذ ليس في الامر من مالك ولا مملوك. الله نفسه في هيمنته لا يملكنا ملكا لان ما نسميه هيمنة الله ليس سوى حب فيه ومحبوبية فينا، اذ يقيمنا امام وجهه في ازائية ابدية امامه. ولا معنى للخلق الا في ان يجعلنا آلهة قادرين ان نلغي في المحبة مالكيتنا ومملوكيتنا ونتجاوز ان نرى الآخر أصلاً واولاً في جنسه، كما نتجاوز رؤيتنا له في اية هوية مهما ضغطت وصرخت لكون كل منا – في حركة واحدة – يتجاوز نفسه ليجعل الآخرين متجاوزين لانفسهم.

على ذلك ففي الخطاب المسيحي في موضع او موضعين عند بولس ما قد يبدو فوقية للزوج. ليس من كلمة واحدة تدل على مفاضلة بين الذكر والانثى. فالتفسير عندنا يجعل للتراتبيّة بين الزوج وزوجه مكانة قد تبدو من بقايا الحضارة العبرية او مما هو شائع في المصطلح الروماني. وجوابي عن هذا ان الرسول اجتنب في رعاية الكنيسة ما قد يعني ثورة اجتماعية كان يمكن ان تكون مؤذية لها في البشارة وتنظيم الكنيسة. وجوابي الثاني ان رائدنا في ذلك كله هو « فكر المسيح » واذا عدنا الى ما قاله الرسول فنقرأ : « اريد ان تعلموا ان رأس كل رجل المسيح ورأس المرأة هو الرجل ورأس المسيح هو الله » (١ كورنثوس ١١:٣). هذا لا ينفي اولاً ان المسيح رأس المرأة مباشرة من حيث انسانيتها. ان بولس يتخذ صورة خضوع المسيح بالناسوت للآب. وطاعة السيد لابيه فيها كل الحب. كل ما في الامر اندراج الزوجة بزوجها على صورة اندراج المخلص بالآب وكل ذلك في ملكوت المحبة. اجل يعود بولس بعد هذا الى ان الرجل خلقه الله اولا ولذلك يؤكد ان « المرأة خلقت للرجل ». هذه هي الرواية الثانية لخلق الانسان في سفر التكوين. واما الرواية الاولى فليس فيها شيء من هذا اذ يقول : « فخلق الله الانسان على صورته، على صورة الله خلقه. ذكراً وانثى خلقهم. » وفي هذه الرواية ليس من تراتبيّة او تعاقب زمني. ولكن مهما يكن من امر تراتبيّة الخلق فينهي بولس كلامه بقوله : « الا انه لا تكون المرأة بلا رجل عند الرب ولا الرجل بلا المرأة، فكما ان المرأة استُلّت من الرجل، فكذلك الرجل تلده المرأة، وكل شيء يأتي من الله. » نحن مع ترابط وتبادل مستقيمين من كون الله هو المبتدأ والمنتهى، التراتب ليس على مستوى القيمة ويقوم مقامه التلاقي في الله.

يبقى اعتراض الحداثة على ان الرجل هو رأس المرأة وعلى خضوع هذه لذاك. في الرسالة الى اهل افسس مستهل الحديث عن الزواج : « ليخضع بعضكم لبعض بتقوى المسيح ». نحن هنا في تبادل الطاعة اساساً لتأمل المقطع كله. واذا لم نبتر الآية فكمالها : « إن الرجل رأس المرأة كما ان المسيح رأس الكنيسة. » انها رئاسة يتخذها الزوج اذا مات كل يوم في سبيل امرأته كما مات السيد من اجل الكنيسة. رئاسة مكتسبة بالحب المراق ولا علاقة لها من

قريب او بعيد بالذكورة والانوثة. يلاحظ بولس فقط سيادة حضارية ويقول اننا نحن لسنا هناك ولكننا نصير في سيادة الحب. هذا الذي تفنى فيه الفوقية والدونية.

ليس هذا هو كل فكر بولس ذروته في قوله في الرسالة الى اهل غلاطية : « ليس هناك يهودي ولا يوناني، وليس هناك عبد او حر. وليس هناك ذكر وانثى، لأنكم جميعاً واحد في المسيح يسوع » (٣ : ٢٨). في بعض الترجمات الاجنبية والعربية ورد خطأ « ليس ذكر ولا انثى ». في اليونانية : « لا ذكر وانثى ». واضح طبعاً ان بولس يزيل الحواجز بين اليهود والوثنيين والعبيد والاحرار. فيبدو للوهلة الاولى ان فكر بولس نفى الفرق بين الذكر والانثى. ليس هذا ما اراده الرسول. ما قصده ان الذكر لا يجمع الى الانثى ولا هي اليه، واو العطف هنا تعني ان الرجل يرتبط بالله مباشرة وكذلك المرأة. انها كاملة بالله. جنسها لا يدخل بتعريفها الكياني. وكونها تنثني في الرجل بالعاطفة لا يعطيها وجودا « في الله الا اذا جاء الانثناء ثمرة قيامها بالله. المرأة قائمة بنفسها. »[٨]

« اظن ان ما نسميه تلاقي الرجل والمرأة هو في العهد الجديد ذلك الذي يتم بتجاوز الذكورة والانوثة معاً، ذلك الذي يحفظ الطبيعة ولكنه يعيدها بالنعمة الى ما كانت عليه قبل السقوط اي قبل ان يعرف آدم وحواء انهما عريانان، التجاوز لا الغاء التمييز هو الانتقال الى الكائن الموحد الذي قال عنه الكتاب : « خلق الله الانسان على صورته ومثاله » وفكر الآباء في هذا ان في الانسان الموحد بالمحبة بنية الهية اصيلة قيل انها العقل او انها الحرية وقال غريغوريوس بالامس انها الانسان شكلاً، نفساً وجسداً. هناك هيكلية إلهية فينا لا تلغيها الخطيئة ولو شوهتها بحيث يبقى المجرم الهي التركيب. تلك هي الصورة او الايقونة كما ورد في الترجمة اليونانية التي اذا فهمناها في خلفيّة الفلسفة اليونانية تعني مشاركة الانسان في الطبيعة الالهية. »[٩]

ان هاجس جورج خضر هو ان تتحول علاقة الرجل بالمرأة من الحب المستعبد الى الحب المؤلّه لاكتمال انسانية كلّ منهما. هاجسه الانتقال من علاقة تقوم على توازن قوى تلعب لعبة السلطة بالجنس والمال الى حب كبير في اعماق الكيان الانساني بكل ابعاده.

بالحب يتحرر المحبوب والمحب بآن معاً من لعبة الحسابات والمكايد من الغواية ومن التسلط. فلا تعود المرأة الهة وثنية مجلببة بالغواية والسحر يتعبّد لها الرجل بالجنس ويخاف تفلّتها فيتسلط عليها بالمال. ويرفض الكاتب ان تكون بذلك دمية/شيئاً مستعملاً للملذات وكل انواع الشهوات. جديد المطران جورج خضر انه يقف من النصوص الكتابية وتفاسيرها موقف الناقد. يقرّ ان « الكنيسة لم تكن سباقة الى الاعتراف بدور النساء خارج البيت ولا اعترفت لهن بمكانة غير انصياعية في البيت وبقيت تجرّ ان حوّاء هي التي اقتبلت خديعة الحية ولم يصبّ المسيحيون غضبهم الا على البادئ لاعتبارهم ان البادئ اظلم ولم يجرؤ احد ان يقول ان كاتب سفر التكوين ذكر يتكلم عن الاغراء وان الاغراء متمكن الرجل منه بالقوة نفسها التي عند المرأة. »[١٠]

كذلك يقف المطران خضر وهو عالم بالاسلاميات وعشير المسلمين، موقف المتفحّص المتسائل من الآية القرآنية « الرجال قوّامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم » (النساء ٣٤).

مما سبق يرفض جورج خضر هذه الافضلية وبخاصة في ارتهانها للنفقة المالية.

ولا يرى فضلاً لاحد من الجنسين لسبب من جنسه او ماله او جماله وبالتالي لا يعرف سلطة الاّ تلك التي تأتي من الابداع الانساني بالفعل الحياتي، بالكتابة او بالفن، وبها كلها انما الفضل هو في القدرة على العطاء.

واذ لم يعد مجال هذا العطاء محصوراً في البيت منذ خرجت المرأة الى العمل وقد ولجت كل ميادين العمل من الكسب اليومي حتى الابداع الفكري يرى جورج خضر ان التلاقي بين الرجل والمرأة بات – اذا كان من منافسة – في المنافسة الانسانية فقط. لذا جاء في كلامه : « الانسان على جذوره البيولوجية لا يستنفذ في بيولوجيته واذا وددت ان افتش عن الكمال فإني اجده عضوياً وتاريخياً في المرأة... انها استطاعت ان تحافظ على وحدانية كيانها النفسي – البيولوجي – العقلي في تكامل بديع بعد ان تقسم الرجل وتبعثر بسبب من تضخم عقلاني ظنه تفوقاً وبعد انقسام بين عاطفته وجسده وتناثر جسده على الشهوانية. »[١١]

كلام عربي، مشرقي، معاصر، من رجل دين عالم لعله بداية طريق يفتح للاجيال القادمة مجال فهم اعمق وتخيلات ارقى وتصوّر اصدق عن المرأة وعلاقتها بالرجل.

---

١ – *المرأة في ذاتها*، النهار ١ تموز ١٩٩٥.
٢ – م. ن.
٣ – *تلاقي الرجل والمرأة*، محاضرة القيت في آياناباً، قبرص ايلول ١٩٩١.
٤ – *المرأة في ذاتها*، النهار ١ تموز ١٩٩٥.
٥ – *المرأة*، النهار ٢٤ حزيران ١٩٩٥.
٦ – *تلاقي الرجل والمرأة*، محاضرة آياناباً.
٧ – *المرأة في ذاتها*، النهار ١ تموز ١٩٩٥.
٨ – *المرأة*، النهار ٢٤ حزيران ١٩٩٥.
٩ – تلاقي الرجل والمرأة، محاضرة آياناباً.
١٠ – م. ن.

جورج خضر

* مطران ابرشية جبيل والبترون الارثوذكسية.

*LA FEMME DANS LES ÉCRITS DE GEORGES KHODR**

Textes sélectionnés et présentés par : ***Amal DIBO***

L'auteur, évêque de l'Eglise orthodoxe, à travers une nouvelle interprétation des textes bibliques des relations homme/femme, restitue à la femme sa dignité d'être humain libre.

La dépendance féminine est dictée par le jeu du pouvoir institué par la société. L'auteur dénonce le rôle de l'argent et le sexisme dans l'autoritarisme masculin. Soulignant l'unicité de l'être féminin, il comprend la relation du couple comme relation d'égalité et d'altérité fondée sur l'amour. Alors l'homme et la femme seront partenaires dans la créativité.

*THE WOMAN IN THE WRITING OF GEORGES KHODR***

George Khodr, writer and Greek Orthodox bishop, restores woman's autonomy and dignity through a new interpretation of biblical texts on man/woman relationships.

The game of power, money and sex made woman seductress and object of desire. A true understanding of love would liberate woman and restore her freedom and autonomy beyond any biological or anthropological function. It is through love that human beings would fulfil their plenitude. Men and women would become, then, partners in creativity.

* La version originale en langue arabe p.٢٣٨
** The original Arabic version p.٢٣٨